

الوطنية في شعر بدر شاكر السياب

* الأستاذ المساعد محمد رضا شيرخاني

جمهورية إيران / جامعة الإيلام

mr.shirkhani@ilam.ac.ir

الملخص:

يعتبر بدر شاكر السياب مع قافلة الشعراء العراقيين أمثال الجواهري و البياتي و قبلهم الرصافي و الزهاوي من الذين لهم الفضل في إيقاظ الوعي الوطني في العراق أيام سيطرة الاستعمار علي الشعب العراقي و كان هناك حاجة إلي موقف لهم . و كان السياب يهتم بمصير العراق و الشعب العراقي و يشير إلي حبه للوطن و كل ما يتعلق به . نستطيع أن نرى هذا الحب في أشعاره المليئة بالكلمات و الألفاظ الدالة على الوطنية. فالوطنية المتمثلة في الثورة عند السياب تمتزج بالحنين إلي بلده و الغربة عن القرية الصغيرة "جيكور" إلي نهر "بويب" و إلي وطنه الكبير العراق و حتى وطنه الأكبر العالم العربي. تحاول هذه المقالة من خلال المنهج الوصفي-التحليلي، أن تبين مدى اهتمام السياب إلي الوطنية وكيفية معالجته لهذه الظاهرة في أشعاره.

الكلمات الرئيسية : السياب ، الوطنية ، الثورة ، الحنين.

Abstract :

Badr shaker al seeab in collaboration with Iraqi contemporary poets such as javaheri wahab beati , rousafi and zahawi played a very effective role in awakening the Iraqis against the imperialism , dominant then over the country . he showed much concern about iraq . and its future and his poetry overflows with his love for his own country : there fore his country and its people .

seeab's patriotism is tinged with his love for his homeland , homesickness due to his being away from his small village called (جيكور) , from a small river (بويب) and eventually iraq and larger homeland the arab world and an – arab personage .

key words : alseeab , patriotism , revolution , childhood , iraq tears , hospital

المقدمة

يعتبر الشعر على مدى التاريخ مرآة لحوادث عصره و تعكس آراء صاحبه بشكل بارز و جلي . الشعراء العراقيون المعاصرون و من ضمنهم بدر شاعر السياب أبدوا آراءهم حول مصير العراق أيام سيطرة الاستعمار الإنجليزي في أشعارهم في مجالات شتى .

يعتبر الشاعر العراقي المعاصر بدر شاعر السياب مع مجموعة من الشعراء المعاصرين أمثال الجواهري و البياتي و الرصافي و الزهاوي من أصحاب الفضل على الشعب العراقي في إيقاظ الوعي الوطني بينهم . ديوان بدر شاعر السياب حافل بالأشعار التي تشير إلى حبه للوطن و اهتمامه بمصير شعبه المضطهد . فالوطنية المتمثلة في الثورة عنده ممتزجة بالحنين إلى بلده و الغربة عن القرية الصغيرة جيکور إلى نهر بويب إلى وطنه الكبير العراق و حتى وطنه الأكبر العالم العربي . في هذه المقالة نروم أن نبين مظاهر الوطنية في أشعار السياب و نتحرى ظهور الوطنية الثورية و حب الوطن في شعره ممتزجا بالحنين و الغربة و الشوق إلى كل ما يذكره بوطنه و لو كان هذا الشيء اسم بلد أو قرية أو شخص أو ... و هنا يجب أن نشير الي أن شعر بدر شاعر السياب قد درس من جانب بعض مؤرخي الأدب العربي و لكن أكثر اهتمامهم في تلك الدراسات يدور حول شاعريته و إبداعه الشعري و ثورته على الشعر الكلاسيكي و ظهور الشعر الحر على يده و لم يتطرقوا إلى الوطنية في شعره بشكل مستقل مثل كتاب "بدر شاعر السياب و المذاهب الشعرية المعاصرة" للدكتور محمد التونجي .

بما أن قصائد السياب بأسرها كانت تجارب حياته إذن نستطيع أن نرى حبه للوطن في كل قصيدة ترتبط بوطنه و بالثورة و بالغربة و الحنين إلى بلده و نذكر هنا القصائد التي تطرق فيها إلى وطنه و أبناء وطنه و الثورة :

١. قصيدة إلى العراق الثائر ٢. مرثية جيکور ٣. العودة لجيکور ٤. قاريء الدم ٥. مدينة بلا مطر
٦. الأسلحة و الأطفال ٧. اللعنات ٨. ثورة ١٤^١ رمضان ٩. المومس و العمياء ١٠. أنشودة المطر
١١. غريب على الخليج ١٢. ابن الشهيد ١٣. مدينة السندباد ١٤. روبا في عام ١٩٦٥
١٥. النهر و الموت

ترجمة الشاعر

ولد الشاعر بدر شاكر السياب عام ١٩٢٦ م بقرية جيكور جنوب شرق البصرة في العراق و درس الابتدائية في مدرسة باب سليمان في منطقة أبي الخصيب ثم انتقل إلى مدرسة المحمودية و تخرج منها ١٩٣٨ م و أكمل دراسته الثانوية في البصرة عام ١٩٤٣ م ثم انتقل إلى بغداد فدخل دار المعلمين العالية و تخرج منها عام ١٩٤٨ م في فرع اللغة العربية و من ثم اللغة الإنجليزية و من خلال تلك الدراسة أتحت له الفرصة للاطلاع على الأدب الإنجليزي بكل جوانبه . و قد سبب هذا الاطلاع على أن يصدر إنتاجه الشعري فيما بعد . و قد شارك في المجال السياسي و لاسيما الحزب الشيوعي و عمل في كثير من الوظائف الحكومية و فصل و سجن و شرد عدة مرّات و انتهى به المطاف بعد مرض عضال إلى الكويت و المستشفى الأميري عام ١٩٦٤م حيث توفي فيه و حمل جثمانه إلى البصرة و دفن في مقبرة الحسن البصري في الزبير .

سيرته الأدبية

كان السياب شاعراً موهبته أكثر من ثقافته و تجاربه في الحياة تكاد تتخطى في حجمها موهبته و ثقافته معاً و يتسم شعره في الفترة الأولى بالرومانسية المتطورة و بما أن السياب يعتبر رائد الشعر الحر فقد كان مطمح نظر كثير من الباحثين و الأدباء حيث كتب عنه ما يزيد عن أربعمئة كتاب و بحث باللغات العربية و الإنجليزية و اللغات الأخرى

(عبدالكريم حسن ، ١٩٨٣م ، ص ٧)

و يرى أغلب الباحثين أن مسيرة السياب الشعرية يمكن أن تقع في ثلاث مراحل : الأولى : رومانسية البواكير و تمتد من أول قصيدة عاطفية كتبها سنة ١٩٤١م بعنوان "علي الشاطيء" و هو في الخامسة عشر من عمره الى سنة ١٩٥٠م حيث نشر ديوانه الثاني "الأساطير" و الذي يعد مرحلة الانتقال عن الشعر الذاتي و رومانسية جماعة أبولو و الديوان . و المرحلة الثانية هي مرحلة الانتماء السياسي و تمتد من عام ١٩٤٩م (حتى عام ١٩٦٠م) و هي الفترة التي شهدت نزوحه الفني . و أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الرومانسية المتطورة التي تمتد من عام ١٩٦٠م حتى وفاته ١٩٦٤م و تعتبر هذه المرحلة مرحلة النضوج الفني الذي رفده ما تيسر له من روافد ثقافية و تراكم لديه من تجارب في حياته القصيرة (توفيق، ١٩٧٩م، ص ١٢-١٤)

لقد كثر إنتاجه الشعري مع قصر حياته و قد تشير بعض الأرقام و الإحصاءات الي أن السياب كتب ٩٩ قصيدة في المرحلة الأولى و ثم كتب ٥٠ قصيدة في المرحلة الثانية و قد كتب ٩٥ قصيدة في المرحلة الأخيرة (المصدر السابق ص ١٤٨)

و قد راح كثير من شعراء اليوم يعيدون كتابه أشعار السياب إنما نزال نسمع أصداءه في قصائد شعراء ولدوا بعد موته أو قبيل موته.(عبدالواحد لؤلؤة ، ١٩٩٠م ، نقلاً عن كتاب ملكوته الشعري تحد مائل،خيري منصور،الأقلام،١٩٨٧ ص٩٥)

و قد تأثر السياب بالشعراء الآخرين في العربية و الإنجليزية و صرح في مقابلة صحفية سنة ١٩٦٢ م : أن الموهبة الشعرية يجب أن تدعم بالثقافة و الخطوة الأولى للثقافة هي قراءة الشعر العربي كله و قراءة الشعر الأجنبي و الفلسفة و النقد

(العبطة،١٩٦٥م ، نقلاً عن كتاب بدر شاكر السياب،إعداد،ناصر الحجيلان،يوليو ٢٠٠٨م ص١١٢) و في هذا المجال يقول يوسف الخال صاحب "مجلة الشعر" : كان إذا وقعت في يده صفحات من الشعر الجيد باللغة الإنجليزية انصب على فض مغاليقها و الغوص إلى عمق معانيها . و متى كان عثر بالشعر الجميل الرائع سعدبه و تحسّر له في نفس الوقت و كان يقول : أبين نحن من هذا الشعر (بلاطة ، ١٩٧١م، ص١٢)

و السياب من أشهر الشعراء الذين استخدموا الأها زيج الشعبية و الأغاني القروية و ترانيم الأطفال و أناشيدهم (الكبيسي، ١٩٨٢م، ص ٩٨)

و قد كتب الشاعر أفضل قصائده سنة ١٩٦٠م تحت عنوان أنشودة المطر و قد تعتبر هذه القصيدة من أحسن نماذج الشعر العربي المعاصر و يمكن أن نقول بأن السياب يمزج بين القديم و الحديث . و قد استفاد من القرآن و الأغاني الشعبية و الكلمات الصعبة القاموسية كما استعمل الكلمات العامية .
نشأة الوطنية في الأدب العربي الحديث

حب الوطن و الانتماء إليه أمر قديم نجده عند كل الشعراء و الأدباء منذ القديم حتى يومنا هذا و نرى الشعر الوطني عند كثير من الشعراء القدامى من العصور المختلفة بذكر أوطانهم و اشتياقهم إليها و ذكر الأماكن التي لهم علاقة بها . و الوطنية في الشعر العربي المعاصر كانت موجودة فيه لكنها أصبحت أكثر عندما احتل الغربيون أكثر البلاد العربية و جعلوا يستمرونها و ينهبون ثرواتها و يشردون أبناءها ، إذن امتزجت الوطنية بالسياسة أكثر فأكثر و بدأ الشعراء يمزجون بين حبهم للوطن و الأحداث السياسية المتعلقة بتحرير بلادهم و الانتفاضات و بطولات أبنائها أمثال الشعراء

المصريين و العراقيين كحافظ إبراهيم و أحمدشوقي و محمدمهدي الجواهري وخاصة بدرشاكرالسياب الذي نريد أن نبين مدى ظهور هذه الظاهرة في شعره .

المظاهر الوطنية في شعره

قد كان السياب ثائرا في العراق و خارج العراق،ينادي بالثورة على الظلم الجائر تارة و آنا بالرمز و حينما يرسلها صرخة مدوية من البلد التي هاجر إليها و يمتاز بجرأته على تصوير الضغط و العذاب الذي يراه أو يتصور أن يراه شعبه .

(التونجي، ١٩٤٨م ص ٦٧)

إنّ يتصور الألم و الجوع و العذاب في العراق و يقول :

آه على بلدي ، عراقي أثمر الدم في الحقول

حسكا و خُفّ جرحه التتري ندبا في ثراه

يا للقبور كأنّ عليها غدا سفلا و غار إلى ظلام .

مثل البذور تنام في ظلم الثمار و لا تفيق

حتى يموتوا في دجاها مثلما اختنق الغريق

جثث هنا و دم هناك

ماذا تخلف في العراق سوى الكآبة و الجنون .

(السياب، ١٩٨٩م، ج ١ ص ١٩٧)

و في بعض الأحيان نجده لا يتذكر العراق بل يذكر اسم بابل ثم يتصور الجور و الأذى بين شعبه و

في وطنه و يقول :

كأن بابل القديمة المسورة

تعود من جديد

قبابها الطوال من حديد

يُدفن فيها جرس كأن مقبرة

تئن فيه و السماء ساح مجزرة

جنانها المعلقة زرعها الرؤوس

تجرّها قواطع الفؤوس

و تنفر الغربان من عيونها

و تغرب الشمس (المصدر السابق، ج١ ص٤٧١)
و تتصاعد موجة المعاناة أكثر لدى الشاعر لمجرد أن نصل إلى قصيدته "غريب على الخليج" حيث
تتناوبه مشاعر ممزوجة بالقلق و الترقب و الملل و مرارة النفي و البعد عن الأهل و الوطن فضلاً
عن الأوضاع السيئة في العراق و على المستوى الشخصي أيضاً. (بيضون، ١٩٧٩م، ص٦٥)
فنرى الشاعر يحس بالحزن و الألم اللذين يعتصران عروق حياته متشهيماً اليوم الذي يخلد فيه للراحة و
يتخلص فيه من الحالية الراهنة

مازلت أضرب مترب القدمين أشعث في الدروب
تحت الشمس الأجنبية

متخافق الأطمار أبسط بالسؤال يدانديه
صفراء من ذل و حمى ذل شحاذ غريب
بين العيون الأجنبية

بين احتقار و انتهار و ازورار أو خطية^٢

و الموت أهون من خطية (السياب، ١٩٨٩م، ج١ ص٣٢١)

و يبقى الوطن و العودة إليه هاجس الشاعر المتوثب الذي يعطش لزيارة وطنه الغريب فيقول :

فلتطقي يا أنت يا قطرات يا دم يا ... نقود

يا ريح يا إبرا تخيط لي الشارع ... متى أعود

إلى العراق ؟ متى أعود؟ (المصدر السابق، ج١ ص٣٢١)

و لا ينسى الشاعر أبناء وطنه الجياح الذين أوصلتهم إلى شفير الكارثة حدة الفيضانات و ارتفاع

المياه في نهر دجلة و لاسيما تلك الكارثة التي حصلت في ربيع العام ١٩٥٤م فيقول :

فسمعت وقع خطى الجياح تسير تدمي من عثار

فتذر في عيني منك و من مناسمها غبار (المصدر السابق، ج١ ص٣٢١)

فيستقيض الشاعر في هذه القصيدة بعواطفه الجياشة تجاه العراق و نواذعه إلى معايشة الأهل و
الأصحاب فيه مستذكراً أيام الطفولة التي ما زالت تداعب خياله أو أن الشاعر حين تقسو عليه
أوضاع الحاضر يهرب إلى الماضي معتبراً إياه الملاذ و الملجأ و لكن هذا الهروب هو من نوع
المسكن ليس شيئاً آخر .

فنراه في قصيدة "مدينه بلامطر" يتذكر ماضيه و يتمنى أن يعود العراق إلى ماضيه العظيم و مجده
الضائع فيقول :

تؤوب إلهة الدم ، خبز بابل ، شمس آذار
و نحن نهيم كالغرباء من دارإلى دار
لنسأل عن هداياها
جيا ع نحن ، وا أسفاه ! فارغتان كفاها
و قاسيتان عيناها
و باردتان كالذهب
سحاب مرعدات مترقبات دون أمطار
و ريح تشبه الإعصار لامرت كإعصار

و لا هدأت . ننام و نستفيق و نحن نخشاها.(المصدر السابق، ج١ص٤٨٧)

كان السياب حريصا على كل نقيصة في مجتمعه لينادي بها إذا كان في ذلك خير للوطن إذن نرى
أن قصائده تحوي المضامين القومية و الإنسانية كما تحوي صوراً اجتماعية أيضاً مثلاً قصيدته
المشهورة "المومس العمياء" رغم أنها صورة اجتماعية من صميم الواقع إلا أنها حوت لمسات وطنية .
فالمومس العمياء يؤلم منظرها و هي توقد المصباح الزيتي لالترى به بل كي يراها الزوار فيقبلوا عليها
و ماذا يدفعون إنه ثمن زيت المصباح ثمن البترول الذي هو ملك الشعب يمتصه المستعمر و هو من
خيرات الشعب فيقول :

أثريت ...

ها هو ذا يضيء فأبي شيء تملكين ؟
ويح للعراق ! أكان عدلا فيه أنك تدفعين
سهاد مقلتيك الضريبة

ثمنا لملء يديك زيتا من منابع الغزيرة

كي يثمر المصباح بالنور الذي لا تبصرين ؟ (المصدر السابق، ج١ص٥٣٩)

الثورة في شعره

كما قلنا في المقدمة أن السياب كان ثوريا و ارتبط بالحزب اليساري في العراق و شارك في المظاهرات ضد النظام العراقي و كان يدعو إلى الثورة و دعوة قوية تشبه بالبركان الهائج ليحرق كل ظلم في العراق أو تشبه بالفرات الطاعي ليمحو كل فساد، فنراه يقول :

هذا طعامي أيها الجائعون
هذه دموعي أيها البائسون
هذه دموعي أيها العابدون
أن يقذف البركان نيرانه
أن يرسل الفرات طوفانه
كي تشرق الظلمة

كي نعرف الرحمة (المصدر السابق، ج١ ص٤٢٥)
و ينتظر من شعبه أبطالا يقتحمون أسوار الظلم العاتية و يقول مشيرا إلى قرينته جيكور:
و جيكور من دونها قام سور و بوابه
و احتوتها سكينه
فمن يحرق السور ؟ من يفتح الباب ؟
يدمي على كل قفل يمينه ؟
و يمني لا مقلب للصراع فأسمعي بها في دروب المدينة
و لا قبضة لابتعاث الحياة من الطين.(المصدر السابق، ج١ ص٤١٩)
ثم يستبشر باقتراب الثورة ضد المستعمرين و يقول :

أكاد أسمع العراق ينخر الرعود
و يخزن البروق في السهول و الجبال
حتى إذا مافض عنها ختمها الرجال
لم تترك الرياح من ثمود

في الوادي من أثر.(المصدر السابق، ج١ ص٤٧٧)
و كثيرا ما نجد السياب يرمز لثورة العراق بالمطر و الخصب و بالخير الذي سيعم على البلاد كما يرمز للظالم بجنكيز و لجنده بالنتن و في بعض الأحيان يرى بأن هذه الرموز لا تنفع لذا نراه يصرخ

صرخات عالية عند ما يرى أن الأمور تأزمت و المظالم استفلحت و ليس في العراق إلا الدم و
الخناجر و الإرهاب و الخراب فيقول :

أهذه مدينتي ؟ أهذه الطلول؟

خط عليها : عاشت الحياة

من دم قتلها فلا إله

فيها و لا ماء و لا حقول ؟

أهذه مدينتي ؟ خناجر التتر

تغمد فوق بابها و لا يزورها القمر

حول دروبها و لا يزورها القمر

أهذه مدينتي ؟ أهذه الحفر؟

و هذه العظام

يطل من بيوتها الظلام و تصبغ الدماء بالقتام

لكي تضيق لا يراها قاطع الأثر(المصدر السابق، ج١ص٤٧٢)

كان السياب يساريا متطرفا و كان ثوريا عنيفا متجددا إلى حد فقدان التوازن ، نزل إلى الشارع وراء
لافتات المتظاهرين التي حدثت بمناسبة معاهدة بورتسمورث سنة ١٩٤٨م فحمل على أكتافهم ليهتف
و ينشد الشعر فتصفق له ألوف الأكفّ و تدعو له ألوف الحناجر و تباركه القلوب و ناله ما يناله
المتظاهرون في ظل حكم ملكي يتعقب معارضيه فألقي القبض عليه و أودع في السجن فتعذب و
تألم و ذاق مرارة الحبس و الاضطهاد و راقبته عيون المخبين تحصي أنفاسه و تقيد خطواته و تمنعه
من الانفعالات و الفرار . و حورب في رزقه ففصل من عمله زيادة في إيدائه و إبعالا في تنكيله .
فهاجر السياب طلبا للراحة في رأي أو اعتزازا بالعقيدة في رأي آخر ، أو لاهذا و لا ذاك . فوطأت
قدماه دياراً غريبة عن دمه و عن لغته فعرف ذلة الغريب و انكسار نفسه و وحشة روحه . و خلال كلّ
هذا العذاب و الحرمان و التشريد ، كان ثورياً عنيفاً في ثورته مقارعاً الطغاة قراع الأبطال و حالماً
بالفجر حلم يقظة و منام . (البصري، ١٩٦٤م، ص١٢)

و عند ما كان في مستشفى سانت ماري بلندن عام ١٩٦٣ م كتب قصيدة " ثورة ١٤ رمضان " و قد
شكر فيها أبناء وطنه و قال :

أ ألف لسان جاء عندك يشكر
بعثت حياة من رداها و نفضت
جزاك الاله الخير عن أم صبيه
فصار اليتامى من جذاك ذوي أب
ألست الذي أحيا و قد ثار شعبه
و قام الكسيح المتلي من فراشه
(السياب، ١٩٨٩م، ج٢ ص ٥٨٢)

لإيفاء ما أسديت؟ هيهات يقدر
أيديك عندها كل ماكان يوقر
أعدت لها البعل الذي كاد يقبر
فذاك الأب الفادية در و جوهر
فصاح ابتها جامنه "الله اكبر"
يسير على ساق و يعدو و يطفر

أونراه عندما سمع نبأ الثورة عام ١٩٦٣م على عبدالكريم قاسم و فوز الثورة من الطبيب في مستشفى
سانت ماري بلندن ينسى ألمه و جراحه و ينادي فرحاً بثورة العراق و يقول :
هرع الطبيب إلي و هو يقول : ماذا في العراق ؟
الجيش ثار و مات قاسم . أي بُشري بالشفاء
ولكنك من فرحي أقوم ، أسير أعدو دون داء
مرحى له ، أي انطلاق ؟
مرحى لجيش الأمة العربية انتزع الوثاق
يا أخوتي بالله بالدم . بالعروبة بالرجاء
هبوا فقد صرع الطغاة و بدد الليل الضياء
فلتحر سوها ثورة عربية صعق الرفاق
منها و خَرَّ الظالمون
لأن تموز استفاق

من بعد ما سرق العميل سناه فانبعث العراق (المصدر السابق، ج١ ص ٣١١)
و ليست الثورة و الحض عليها هي كل ما في اتجاهه الوطني بل هناك وصف الشهداء و الأبطال .
فناه يصور لنا صورة الشهيدة الوطنية "حفصة" التي استشهدت في مذبحة الموصل راسماً مع صورة
البطلة لوحة زيتية أخاذه عن الجو المغبر الخانق أيام الثورة و كيف كان الحكام آنذاك فيقول :

تموز تجسّد مسماراً
من حفصة يخرج و الشجرة
النهد الأعزُّ فاض ليطعم كل فم .
خبز الألم
"الأفة" صباح القصاب
من هذا اللحم بفلسين
اقطع من لحم النهدين
للحم لنا ، و الأثواب
سكنون لمسح السكينة.(المصدر السابق، ج١ ص٤٣٨)
أونراه يصور جثمان البطل و تألم الزوجة الألم العظيم فيقول :
أرأيت أرملة الشهيد ؟
الزوج مد عليه من ترب لحافاً ثم نام
متدماً بأشدّ ما تجد العظام
من فسحة سكنت يداه على الأضالع و العيون
تعفو إلى أبدا لإله إلى القيام في سلام
رمت الرداء العسكري و نشرته على الوصيد
لثمته فانقض القماش يردّ بردّ الموت
بردّ الظلمات من القبور.(المصدر السابق، ج١ ص١٩٨)
لكن دفاعه و نضاله لم يات أكله و لما وجد ان الشعب لم يستجب لهديره الصاحب أخذ انتاجه
يضعف و مالت نفسه إلى القلق و التردد و يؤس من قومه و شعبه بعد انتظار السنين و قال :
و أين القطاف ؟
مناجل و لاتحصد
أزاهر لاتعقد
مزارع سوداء من غير ماء
أهذا انتظار السنين الطويلة
أهذا صراخ الرجولة؟
أهذا أنين النساء؟

أدونيسُ يا لاندحار البطولة
لقد حطّم الموت فيك الرجاء
و أقبل بالنظرة الزائقة. (المصدر السابق، ج١ ص٤٦٦)
و لم يكن هديره و ثورته و إيقاظه بأقل من وطنية الشاعر الكبير معروف الرصا في غير أن
الرصافي وجد أن الشعب العراقي لا يسجيب له فصاح صيحته المشهورة ساخراً على فارق الزمان :
ياقوم لاتتكلموا
ناموا ولا تستيقظوا
إن الكلام محرم
مافانالالنوم
(التونجي، ١٩٦٨م، ص ٧١)

ولكن السياب لم يندفع لعدم استجابة الشعب دعوته فإنه يكفيه أن نفسه ثائرة فيقول :
جوعان في القبر بلا غذاء
عريان في الثلج بلا رداء
صرخت في الشتاء
أقضّ يا مطهر
يا مضاجع العظام و الثلوج و الهباء
مضاجع الحجر
و أنبت البذور و لتفتتح الزهر
و أحرق البيادر العقيم بالبروق
و الفجر العروق
و أنقل الشجر (السياب، ١٩٨٩م، ج١ ص٤٦٣)

تمازج الوطنية(الثورة) و الحنين :

يحدد الشاعر معني الوطن فيراه كينونة الإنسان و عروته الوثقى التي لاتنفصم إلا في حالة الخيانة
لهذه المسلّمة و يقول :
أني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون
أيخون إنسان بلاده
إن خان معني أن يكون فكيف يمكن أن يكون ؟

الشمس أجمل في بلادي من سواها و الظلام
حتى الظلام . هناك أجمل فهو يحتضن العراق
واحسرتا متى أنام
فأحسّ أنا على الوسادة
من ليالك الصيفي طلائفه عطرك يا عراق (المصدر السابق، ج١ ص٣٢٠)
كما رأينا في الأبيات السابقة وطنه ساكن في كل قطرة من قطرات دمه و في كل خلجة من خلجات
نفسه فإنه يتحسر على رقدة و سادة تحمل ندى عطرمن العراق.
و ما أحلاها وطنية عندما نراه في قصيدة "غريب على الخليج" يمزج حنينه بوطنيته و تكبر دائرة
الحنين و الشوق عنده و يحلم بالعراق كما يحلم بجيكور و داره و يقول :
جلس الغريب يسرح البصر المحير في الخليج
و يهدأ عمدة الضياء بما يصعد من نشيج
أعلى من العباب يهدر رغبة و من الضجيج
صوت تفجر في قرارة نفسي التكلي عراق
كالمّد يصعد كالسحابة كالد موع إلّالعيون
الريح تصرخ بي : عراق
و الموج يعول بي : عراق ، عراق ليس سوى عراق
البحر أوسع ما يكون و أنت أبعد ما تكون
و البحر دونك يا عراق
بالأمس حين مررت بالمقهى سمعتك يا عراق (المصدر السابق، ج١ ص٣١٨)
و في مكان آخر نراه يتحسر و يخاف من عدم عودته إلى العراق و يقول :
واحسرتا ... فلن أعود إلى العراق ! و هل يعود
من كان تعوزه النقود ؟ و كيف تدخر النقود
و أنت تاكل أذ تجوع ؟ و أنت تتفق ما يوجد
به الكرام على الطعام ؟ تبكي على العراق
فما لديك سوى الدموع ؟
و سوى انتظارك دون جدوى للرياح و للقوق (المصدر السابق، ج١ ص٣٢٣)

و نراه مرة أخرى يتذكر وطنه و يحن إليه عندما يخاطب "بويب" النهر الصغير في قرية جيكور التي نشأ و ترعرع فيها إذن يحن إليها و يقول :

بويب ... يا بويب

فيدلهم في دم حنين

إليك يا بويب

يا نهري الحزين كالمطر

أود لو عدوت في الظلام

أشد قبضتي تحملان شوق عام

في كل إصبع كأني أحمل النذور (المصدر السابق، ج١ ص٤٥٣)

أونرى أن حبه للوطن يصل إلى ذورته عندما يرفض لقاء محبوبته في أرض غير العراق رغم شوقه إليها و يقول :

لو جئت في البلد الغريب إلى ما كمل اللقاء

شوق يحض دمي إليه كان كل دمي اشتها (المصدر السابق، ج١ ص٣٢٠)

و لا تبقى للشاعر أمنية إلا أن يصل إلى بلده حياً أو ميتاً فيعيش في كوخ أو ميتاً فيدفن في مقبره الكئيبة فيقول :

أين العراق ؟ و أين شمس ضحاه تحملها سفينة

في ماعدجلة أو بويب؟ و أين أصداء الغناء ؟

إن مت يا وطني فقبر من مقابر الكئيبة

أقصى مناي ، و إن سلمت فإن كوخاً في الحقول

هو ما أريد من الحياة (المصدر السابق، ج١ ص٣٣٠)

و كان له أخيراً ما أراد ، قبر من مقابر العراق الكئيبة و تمثال في البصرة يطل على الخليج و خلود في الذاكرة بكلمات تتحدى الزمن .

النتيجة:

كما رأينا في الأبيات المذكورة و المستخرجة من ديوان بدر شاكر السياب ، أن الشاعر رغم نزواته النفسية في حياته و هجرته و مواجهته للشدائد و الصعوبات و الغربة و التشرذ و السجن و الحرمان من رغد العيش و عدم الاستقرار في حياته و أكثر من هذا كله ألمه و مرضه الذي أدى إلى موته ، لم ينس وطنه وبلده و أبناء وطنه و مصيرهم في الحياة . فمرة اشترك في المظاهرات و هتافات على أكتاف المتظاهرين و رفاقه و مرة كان على ظهر باخرة في الخليج و مرة كان في الغربة في بلد غريب و مرة كان في السجون . مع كل هذا ، كان شاعراً و طنياً في زمرة الشعراء العراقيين الذين لهم فضل على الشعب العراقي في إيقاظ الوعي الوطني فيهم .

المصادر والمراجع

- ١- عباس، إحسان ، بدر شاكر السياب ، دراسة في حياته و شعره ، بيروت دارالثقافة ١٩٦٩م
- ٢- السياب، بدر شاكر ، الديوان المجلد الأول و الثاني ، دارالعودة ، بيروت ١٩٨٩م
- ٣- توفيق، حسن ، شعر بدر شاكر السياب دراسة فنية و فكرية بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ١٩٧٩م
- ٤- بيضون، حيدر توفيق ، «بدر شاكر السياب رائد الشعر العربي الحديث ، دارلكتب العملية ، بيروت لبنان . الطبعة الأولى ١٩٩١م
- ٥- البصري، عبدالجبار داود ، بدر شاكر السياب رائد الشعر الحر ، دارالجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٦م
- ٦- حسن، عبدالكريم ، الموضوعية البنوية ، دراسة في الشعر السياب بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ١٩٨٣م
- ٧- لؤلؤة، عبدالواحد، منازل القمر، دراسات نقدية، رياض الريس للكتب و النشر، الطبعة الأولى ١٩٩٠م
- ٨- الكبيسي، عمران خضير حميد ، لغة الشعر العراقي في المعاصر إشراف الدكتورة سهير القلماوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت الطبعة الأولى ١٩٨٢م
- ٩- بلاطة، عيسى، بدر شاكر السياب حياته و شعره بيروت ، دار النهار للنشر ١٩٧١م
- ١٠- التونجي، محمد، بدر شاكر السياب و المذهب الشعرية المعاصرة ، دارالأناوار ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٨م



العدد الثامن والثلاثون

الجزء الأول / شباط / ٢٠٢٠

جامعة واسط

مجلة كلية التربية

١١- العبطة، محمود، بدر شاكر السياب و الحركة الشعرية الجديدة في العراق ، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٥م

الهوامش

١ . كلمة إشفاق في اللهجة العراقية